القسم الثانى

موضوعات تتعلق بالنهج الوطني والقومي المخلص وعمليات الاستيطان العنصرية..

سيرة كفاح وبطولة

دروس وعِبَر يكثفها مناضل

obeikandl.com

obeikandl.com

١

رثاء ليس في محله

قصة المكافح الوطني الأحوازي : محمد شريف النواصري : أبو وائل ، قصة عريضة ولكنها ليست طويلة بالتأكيد ، كما يقال ، فهو برز أمامنا ، في خارج الأحواز مرتع هواه ومركز صبواته ومكانة روحه الشفيفة المتبسمة ، كشهاب أو نجمة مضيئة لامعة في ليلة الظلام المدلهمة الدامسة ، إلا أنها لم تستمر طويلاً مع الأسف الشديد ، ولكن هذا المواطن الوطني المحب للعروبة حد التبتل والتوضؤ في قيمها المفعمة بالخير النبيل ، ترك بصمات وافرة ومؤثرة على وعي المتابعين للقضية الوطنية الأحوازية ، بحكم إهتمامه بالمعلومة الموثوقة والموثّقة ، التي سرعان ما يقرنها بالمصدر المتابع .

عندما كان المرء المنتبه لطرحه الفكري والمستمع لتحليله السياسي ، يتابع تدفق معلوماته عبر التحليل المادي لكل مسألة تمس القضية الأحوازية ، لذا فإنه سيدرك على الفور ، أنَّ هذا التدفق المعرفي هو في حقيقته صافٍ . . . نقي . . . ، يشبه جريان نهر الكارون في موسم فيضانه الأكبر ، إذ هو يمتلك عقلاً مفعماً بالإخلاص للقضية الوطنية ، والمستعد دائماً للتضحية في سبيلها ، من ناحية ، والإحتقار الأبدي للعدو الفارسي الصفوي ، والإزدراء العميق لمرتزقة السياسة وللمتاجرين بمأساة الوطن والمساومين على حساب القضية الوطنية ، وما أكثرهم في العصر المنفوط ، من ناحية أخرى .

كان يتساءل على الدوام عن هذا الطنين الذي يطل من على الشاشات المرئية ،

ويستفسر صارخاً مستغرباً : هل يصدق هؤلاء أنفسهم عندما يثرثرون عن «كم»و«نوع» المعلومات المختلطة بالإفتراءات ؟ . إنني شخصياً ـ هكذا كان يرى ونؤكد القول معه ـ لا أطلب من أي فرد سوى أنْ يكون صادقاً مع نفسه ، قبل أنْ يكون صادقاً مع التاريخ والشعب والوطن . . . أقول : لا بد من المصداقية السياسية وكفى ، لابد من التمتع بنزاهة الضمير من أي موقع وفي أي صعيد .

كان يتابع الأسماء التي يلمّعها الإعلام الدعائي والقنوات المشبوهة ويتساءل : أين كانت تلك الأجهزة الدعائية يوم تم جزر الشعب الأحوازي ومطاردة شبابه ورجاله . . . ملاحقة فتيانه وفتياته ؟ ومصادرة حقوقه الوطنية كلها . . . ؟ ! ، وأين كان هؤلاء المتقولون الملفقون ، الذين أساءوا للقضية الوطنية الأحوازية ، وبالتالي : أرادوا رهنها عند جلادي شعوب أقطار الأمة العربية وعلى رأسها الولايات المتحدة : التي تتحكم بالمنظمات الدولية ؟ هل هؤلاء الذين يقودون بعض الجماعات التنظيمية «السياسية» تتحرك على أرضية قضيته«هم» الوطنية أم على أرضية الرغبات الدولية التي ترتبط بإستراتيجية سياسية معلومة ومفهومة ومقترنة بالتحرك على كل الصعد العالمية ؟ هل يستوي الذين يعملون ويطاردون وتسلمهم المخابرات الأجنبية للسلطة الفارسية ، مع الذين يجري تلميعهم يومياً؟ هل يستوي الذين إعتلوا أعواد المشانق وإعتقلوا وعذبوا مع الذين يفبركون البيانات ويرصفون الإدعاءات ويشهرون مسؤوليتهم عن العمليات البطولية التي يجترحها المكافحون المجاهدون في أحواز البطولة والفداء والكفاح الوطني ؟ ! .

كان أبو وائل يرصد كل تفصيل يصدر في الداخل والخارج ، في سياق عمله الدائب والصامت من أجل معشوقته المستلقية على مشارف الأهوار والأنهار والعراق وسواحل مياه الخليج العربي ، والمبتلاة بالإحتلال منذ العام ١٩٢٥ ، ولكنه مع وعيه بالشروط التاريخية التكوينية وثباتها الجغرافي ، لم ينسَ للحظة زمنية واحدة طابع الظرف العالمي المعاصر من حيث القطبية الواحدة ، والتي تستهدف الوطن العربي كله ، تلك هي قضية الأحواز . . . وشعب الأحواز . . .

ومراتب المجتمع .

وعندما كان يواجه بالسؤال عن التغييرات التي عصفت بقناعات البعض السياسية والفكرية ، كان المرحوم أبو وائل ينتفض بسرعة مرتعشة ، إرتعاشة من سلُبت كرامته على حين غرة وأستفِزت مشاعره الوطنية والقومية ، ويجيب على ذلك : إنَّ المسألة ليست تناقضات البعض مع ذاته من دون مراجعة فكرية أو سياسية لممارساته السياسية السابقة في أية مرحلة كانت ، على أهميتها في العمل السياسي المخلص ، إنما المسألة في جوهرها تتكثف في كيفية نقل البعض لبندقية من كتف أيسر وأحمر والإيمان بحق الشعوب في تقرير مصيرها إلى كتف أيمن وطيش «يساري» ، وذلك في سياق محاولة العربشة على بعض المفاهيم السياسية التي أبرزتها فلسفة سياسية معينة ، من دون أنْ يكون الهّم السياسي المبدئي له أي حضور سياسي محدد في بناء «القرار السياسي» المتخذ تجاه أية قضية وطنية أو قومية . . . وتغيير المنطق الفكري والموضوعي ، وكذلك إشغال الضمير السياسي بأبعاد التحليل السياسي للمسألة الفكرية الواحدة ، في لحظات زمنية متفاوتة . . . والتخلي عن «الأيديولوجية الطبقية الشمولية» : التي كانت من وجهة نظرهم «العلمية الوحيدة» رغم أنّ التجربة السياسية العملية قد أثبتت تحجرها وبرهنت على مدرسيتها الجامدة ، ولكنها مع ذلك غدت تـُنفذ عناصر روحيتها السياسية لصالح رؤية تتوافق مع الرؤية السياسية الأمريكية والصهيونية ، في الوقت الذي لم تتغير فيه أي مَعْلم من معالم الرؤية السياسية الغربية أو الصهيونية . إنها المأساة / الكوميدية السوداء التي يتفجر منها التزوير الفكري والباطل السياسي ، وهو ما يستحق التوقف ملـّياً عندها ، أولاً ، ومن ثم تناول الشخوص من ناحية سياسية للقيادات التي تمثلها ، ثانياً .

إنَّ ما تحتاجه القضية الوطنية الأحوازية العادلة هو وجود مناضلين مستقيمين ومبدئيين وصادقين ، يضعون القضية الوطنية والقومية أمام حدقات عيونهم ، مركزين بصيرتهم وباصرتهم في مركزها الكفاحي الحيوي ، من جهة ، وتبقى

ذاكرتهم متوقدة بشكل ثابت وشاخصة بصورة دائمة ، من جهة أخرى . المطلوب اليوم وغداً هو المكافح الجريء الذي يصدق مع القضية الوطنية الأحوازية ويصدق مع نفسه قبل أي إعتبار آخر ، لقد رحل المناضلون الشهداء في سبيل الوطن قبل التفكير بأي إمتياز ، وفي الحقيقة أنهم قدوتنا وروادنا في حلنا وترحالنا ، وما تحتاجه القضية الوطنية الأحوازية الدراسة العينية للقوى الإجتماعية ، للواقع الإجتماعي ، لقوى الثورة ، وقوة أعدائها ، الأصدقاء وحلفاء الأعداء ، رسم البرنامج السياسي البديل عن الواقع السياسي القائم ، المعزز بتوفر الإرادة الواعية والقوية، وهو مناط التفكير الدائم والمعاناة اليومية عند الفقيد النواصري ، من جهة ثالثة وأخرى ، وليست الأخيرة بطبيعة الحال ..

هكذا كان يعض على جراحه الوطنية المفتوحة أشداقها على النزف الدائم ، والحمية التي تساور نفسه وإرادته المقدامة دائماً ، وخصوصاً عندما يتبادل الحديث مع الآخرين وأمام المجموع الوطني المتابع في نطاق اللقاءات السياسية الحميمة والخاطفة ، وربما التنظيمية كذلك ، عندما تبرز المسائل العملية الشائكة في نطاق العمل اليومي أو المرحلي ، أو تطفو أمام الجميع إحدى معضلات الممارسة اليومية والفكر السياسي ، التي ينظر إليها بمنظار الرؤية السياسية الإستراتيجية للقضية الوطنية الأحوازية في مسارها الجدلي ، والتي كان يودع «أسرارها» عند أحد الأصدقاء المتقفين المتعاطفين مع نهجه السياسي . كان كلامه السياسي التحليلي العميق والمحدد يتدفق مثلما تتكركر مياه كارون وتتلاحق موجاته .

ولكن ما هي الظروف التاريخية لنشوء الفرد السياسي الوطني ، وتصلّب إرادته في نطاق الصيرورة «الرمزية» ، والتي جعلت من هذه «الخامة الوطنية» معدناً أصيلاً ، ولا تلتفت إلى مغانم اللحظة السياسية التاريخية «الراهنة» التي يجري توظيب عناصرها «المحتملة» في العمل السياسي والدبلوماسي السرّيين ، وتقوم بضخها لاحقاً : أجهزة السي آي أي وعملاؤها «المفكرون أو الكتاب

الصحفيون ، وينشرها بعض شيوخ إمارات الخليج العربي ، والعديد من العملاء ومرتزقتهم ، ويقوم على ترويجها بعض الأجهزة الإعلامية والفضائيات المشبوهة، التي تدور بفلك المخابرات الغربية الدولية ؟ .

إنَّ المأساة السياسية الكبرى التي تواجهنا خلال المرحلة الراهنة ـ هكذا كان يضيف السنوات الراهنة ـ ليس إكتفاء البعض بترويج الخطوط السياسية التي تقوم على الرؤى الدعائية حول ما يسمى بحقوق الإنسان وإنصاف المؤسسات الشرعية الدولية وتنفيذ المتطلبات السياسية للآخر الدولي التي تعجز عن تسويقها مؤسساتها الدبلوماسية وأجهزتها الرسمية ، بل حتى القيام بالمتاجرة في الشأن السياسي الذي يخص القضية الوطنية الأحوازية وغيرها من القضايا الوطنية والقومية العادلة ، ومن ثم ترويج الكذب المتتالي الذي نشاهد عمليات تسويقه من قبل «هؤلاء الذين يسمون أنفسهم بالقادة السياسيين» ، بهمة غير معهودة على الطالع والنازل .

ولا يتوانون في سياق عملهم التضليلي عن الإقدام «المتهور» على محاربة الوطنيين والسفر إلى بعض الجهات الجغرافية المؤثرة على أبناء الأحواز الوطنيين المخلصين ، من أجل الضغط المادي المتعدد الوجوه : من قبيل محاربتهم في لقمة عيشهم والشغب عليهم بذريعة «الإرهاب» كي يمنعونهم من إعطاء الإقامات في بعض البلدان ، أو تسفيرهم في ظل فقدانهم لأية جوازات سفر تصلح للسفر ، على ذوي اليراع المبدع والفكر الوطني الثاقب ، بغية عرقلة انخراطهم في كتيبة الكلمة المناضلة المكافحة الصادقة التي تدافع عن القضية الأحوازية عن قناعة سياسية تامة ، ومن دون متاجرة أو إتجار . . . من غير مساومة أو تخاذل ، أو المراهنة على انتظار «غودو» بغيض وكريه ، مستغلين بعض العادات المتخلفة وأولها الوشاية والنميمة والمخاتلة ، للتحذير ، {أو الإرهاب الشخصي} ، من المستقبل المجهول الذي ينتظرهم جرّاء تعاونهم مع الوطنيين الأحوازيين ، وهو حديث ستتبين ملامحه خلال أحاديث قادمة من دون أنْ يسفر عن تفاصيلها ، ولكنه رحل مع الأسف من دون أنْ يزيد ، فهل أودع أسراره عند البعض ؟ ربما ! .

من الطبيعي أن لا أتعرف على الظرف التاريخي العام لنشوئه المبكر ، وبالتالي معرفة كيفية تكونه الفكري والسياسي ، وهو في داخل وطنه ، ولكن مع إضطراره لترك عواطفه المتأججة في مراتع الطفولة والتقدم المعرفي وصولاً إلى كُنه الصيرورة المتكاملة في الواقع الأحوازي المخلص والقائم ، والتقائي به على أثر دعوة وجهتها له ولصديقه / رفيقة الأستاذ عادل السويدي ، تعرفت على إهتمامه الفكري وولعه المعرفي وهمومه السياسية ، كنا إثنين : أنا وضيفي من مدينة ألبورغ الدانمركية : السيد عامر الذرب : أبو علي ، عندما إستقر مرغماً في هولندا بسبب عرقلة البوليس له كونه لا يحمل الفيزا المطلوبة ، وهو الذي كان ينوي الذهاب إلى بريطانيا لكي يواصل مشروعه الدراسي في العلوم الإجتماعية ، لكي ينال درجة تخصصية ، ويترجم رؤيته الوطنية السياسية في سبيل وطن أحوازي مستقل وذي سيدة وشعب عربي في وطن محتل ينال حقه السياسي والثقافي على أرضية رؤية مجتمعية متكاملة .

كان يطيل التوقف المتمعن المتدبر أمام محتويات رفوف المكتبة التي أمتلكها، والتي إعتلت رفوفها مئات الكتب عن تاريخ المنطقة العربية التي تبحث في مختلف مناحي شؤونها المعرفية والسياسية والثقافية ، يأخذ هذا الكتاب الذي ينتقيه بعد قراءة العنوان ليلقي نظرة سريعة عليه مقلِّباً صفحاته مطلعاً على محتوياته ، ويتناول آخر ليمارس ذات الطريقة على مضامينه الفكرية لكي «يخطف» فكرة فواحة ومركزة عنه . كانت تلك الكتب المنتقاة ضيفنا الآخر وتشاركنا الأحاديث حتى درجة الغيرة على الوقت القصير المتاح لنا في التبصر بالأحاديث السياسية العامة ، والسعادة المنتشية بهذه الهواية المشتركة المحببة على نفسينا . وكان يقول رحمه الله : سأحتاج هذا الكتاب أو تلك المجموعة ، وفي عصرية واحدة جمع عشرات الكتب كي يطبع على مضمونها بشكل تفصيلي لاحقاً .

تطرق الفقيد النواصيري طويلاً لمفاهيم «الحجتية» الإيرانية ، ودورها السياسي في إدارة عجلة السلطة التي تقود إيران تحت ذرائع تمثيلها «للإمام المهدي» ، وتركيب الأجهزة الأمنية الفارسية المتحكم الأساس في الشؤون الإدارية والسياسية لكل إيران

وفق أسس قمعية وعنصرية وطائفية ، والتوزيع السكاني لمكونات الدولة الإيرانية المعاصرة ، من الناحية القومية وأعدادهم التكوينية ، ونسبهم المؤية قياساً لكل الشعوب الإيرانية ، بغية البرهنة العينية على كون الأقلية التكوينية في الدولة هي التي تتحكم في البلاد والعباد وفي الداخل والخارج : إنها الأقلية الفارسية ، فيما مبدأ الشعوب والقبائل القرآني مُتجاهَل في إيران «الإسلامية» تماماً .

كان يسلط الأضواء بالمعطيات الملموسة والأرقام الموثوقة على مفارقات الأبعاد العملية العنصرية الفارسية لوقائع الإضطهاد السياسي الشامل والمتعدد الوجوه والأبعاد والذي يشمل الرجال والشباب والفتيان والنساء والشابات والفتيات ، التي تطال كل المعارضين في إيران ، المناضلين الأحوازيين منهم على وجه الخصوص ، ودور المرتزقة الطائفيين من بعض التكوينات الإجتماعية اللبنانية والعراقية في تنفيذ المخططات السياسية الفارسية ضد القضايا العربية الأحوازية . كلها معلومات موثقة تتدفق على لسان وطني أحوازي مخلص بما يجعلها واقعاً ماثلاً أمامي ، وأتأسف اليوم لعدم تسجيلها بحكم الأمل بلقاءات أخرى قادمة ، والتمني له بحياة مستقرة وآمنة لمستقبله المنشود ، ومجيء عائلته الفاضلة إلى هولندا ، ولكن . . . وآه من لكن . . .

تحدث سريعاً عن تجربته الشخصية والكفاحية ضمن الطلائع العاملة في حزب «الوفاق الإسلامي» ، ومشاركته الفاعلة في تجربة الإنتفاضة الشعبية الأحوازية الواسعة ، ودور الوثيقة السياسية المكتوبة تحت إشراف رئاسة مجلس وزراء الحكومة الصفوية حول آليات واستهداف العمل الاستيطاني لتغيير معالم الأرض الأحوازية القومية العربية ، وهي الوثيقة التي كانت خطوطها الفكرية والسياسية والعملية تتضمن كيفية إستيطان الأرض الأحوازية من قبل الزمر الفارسية . لقد كان نشر الوثيقة تلك ، والتي كان يحتفظ بها لسنوات بانتظار الظروف الملائمة لنشرها كانت بمثابة الشرارة التي أشعلت سهل المجتمع العربي الأحوازي في ١٥/ ٤ / ٢٠٠٥ الذي يحيا مرغماً تحت براثن أجهزة القمع الفارسي والسلطة

الحاكمة ، وكذلك لم ينسَ في سياق عرضه السياسي دورَ الوعي السياسي والعمل التنظيمي المثابر تمهيداً للتأكيد على أهمية مفهوم التيار العربي الديمقراطي الذي قاد تلك الإنتفاضة الوطنية العارمة . . . إلخ ، إلخ .

لم يتكلم عن الأنا أبداً ، التي غدت اليوم إحدى السمات الأساسية عند بعض السياسيين المنتفخة أوداجهم ، انتفاخة الديك الرومي وصوته المتقطع الأجوف ، ولكنه تحدث برصانة عن دراسته الجامعية ، الذي مضت كطيف في حلم لذيذ ، وكيفية إستكمالها رغم اليتم وقلة ذات اليد ولكن الإصرار والعزيمة والإرادة والتفوق كانوا شركاء فعالين في التمكن من اجتياز صفوفها ، وإنه ـ كما يخبرنا ـ أنه اليوم أشد تصميماً على مواصلة بحوثه الإجتماعية الجادة والمفيدة والنافعة من أجل تقديم رؤية فكرية وسياسية أكاديمية عن قضيته الوطنية الأحوازية ، كونه يمتلك مصادر فارسية غزيرة تتحدث عن التركيبة التاريخية لنشوء القضية الوطنية الأحوازية في معترك الصراع بين الثلاثي الإيراني والروسي السوفيتي والتطلعات الاستعمارية البريطانية ، في تنافسهم على المواقع الإستراتيجية والبحث عن الثروات النفطية ، وهي موضوعات طموحة في سياق البحث الجاد والهادف ، وكونه ـ كذلك ـ يتقن اللغة الفارسية إتقاناً متميزاً بحكم الدراسة المفروضة عليه من قبل الدولة الفارسية المحتلة ، من ناحية ، مثلما حرص حرصاً متميزاً على استيعاب مبادئ اللغة العربية : كلاماً وقراءة وكتابة جراء الدراسة المواظِبة والدءوبة للتراث العربي الإسلامي ، والتحصيل الجاد على علوم فقه اللغة العربية : اللغة الأم . سأحتاج إلى هذه المصادر في القريب ، إنْ شاء الله ، هكذا ختم أحاديثه الغزيرة الغنية جداً .

في مرحلة لاحقة ، عرفت أنه إبن أحد شهداء الأحواز ، والوريث النجيب لمثالة الكفاحي ، وقدوته النضالية في مساره الجهادي . وأبوه الشهيد بحكم دفاعه عن أرضه وحقه الإنساني في الحياة والجهاد ، من الذين إكتحلت أجسادهم في التربة الأحوازية الندية المعطاءة ، جراء قرار «قضائي» جائر صنفته وقررته ـ أساساً ـ سلطة الملالي الظالمة ، وطق به الطاغية المجرم «حجة الإسلام

والمسلمين» صادق خلخالي الذي سيقضي نحبه في طهران تحت وطأة جور جرائمه ومعاناة نفسيته السافلة، جراء إصابته بمرض السرطان. كان ذلك عقابه في الدنيا الفانية، وسيلقى الزقوم والصديد في الحياة الباقية ـ إنْ شاء الله ـ.

لقد أرسل هذا المجرم الخلخالي بإسم الدين والله ـ وكلاهما بريء من أفعاله وأعماله المخالفة لشريعة الله ـ حوالي ٨٠٠٠ رجل وإمرأة غالبيتهم لم يرتكبوا أية جناية بالقتل أو الاعتداء على أي فرد، إلى منصة الإعدام والتصفية الجسدية متحججاً بالقول: إنَّ الله سيضعكم في الجنة إذا كنتم أبرياء، بذريعة مناهضة أغلبهم لسلطة خميني الثيوقراطية المطلقة، كما يقول الصحفي البريطاني روبرت فيسك في أحد أجزاء كتابه الضخم والمعنون الحرب الكبرى تحت ذريعة الحضارة، ناهيك عن إغتيال السلطات الأمنية الفارسية لعشرات الألوف من الشباب والشابات في وهم في مقتبل العمر، أي أنهم لما يبلغوا سن الثامنة عشرة من العمر، كما أكد ذلك حسين علي منتظري الذي شغل في فترة ما منصب نائب «المرشد الأعلى للثورة الإسلامية»، وذلك غيلة وغدراً، أي بأسلوب فارسي صميم.

إذن، لقد تفتح وعيه السياسي الذاتي، وتصلّب عوده الكفاحي، في ظل معاناة عائلية مثلما ترعرع في بيئة أحوازية عربية شهدت بصور مجسدة المأساة الشخصية والوطنية معاً، ونما في عائلة وطنية صدقت العهد بالإخلاص للوطن والوعد بالمضي في دروب تحرير حتى الفوز بأحد الحسنين: النصر أو الشهادة، وقدمت التضحية المطلوبة والدماء الزكية من أجل الوطن والمجتمع، لقد إبتدأ رحلته مع الإخلاص الوطني الصادق ورضع حليب الوفاء والتضحية منذ سنواته الأولى، إذ استشهدَ أبوه وهو لمّا يبلغ سنِّ العاشرة من العمر، أو أزيد من ذلك بقليل، لذا أدرك أنَّ السبب الكامن في سلسلة القمع الإيراني لسلطة الملالي في تصرف ما يسمى بـ«الثوار الجدد» هو الوعي «القومي العنصري» الفارسي الحقير، المقرون بالبعد الصفوي الطائفي الأحقر، وهي مقاييس فكرية وسياسية يمكن قراءة التطورات التي تواءَمت فيها على ضوء «المصلحة الفارسية العنصرية» الذي لم يتغير طابعها السياسي خلال ثلاثة أرباع القرن

العشرين خصوصاً ، رغم إختلاف السلطات السائدة فيها ، من ناحية ، والتمعن في ثناياها على ضوء مقولات علي شريعتي الذي أرسى دعائمها ـ أساساً ـ في كتابه عن التشيع العلوي والتشيع الصفوي ، من الناحية الأخرى .

كان الراحل بجسده المفتول وابتسامته البريئة وقوامه الرياضي القوي ، والذي تشرب سمرة الأرض الأحوازية وتنسم عطر أريجها الفواح ، كان رحيله المفاجئ وهو في ريعان العطاء الكفاحي ، قد توسد الأرض بعيداً عن تربة وطنه ، للأسف الشديد ، بعد أنْ عاش غريباً في وطنه جراء القمع السلطوي الفارسي الطائفي ، لكنه مع ذلك ، بقي المقيم بيننا بذكره وفكره ومثاله المخلص ، تاركاً بحوثه السياسية والفكرية غير المنشورة ، وزوجة وفية وكأنها الإخلاص وقد تجسد امرأة كريمة وحيية ، وصبياً نادياً غضاً بشخص وائل المتسائل دوماً عن موعد عودة الأب الذي أعتقد إنَّ رحيل الأب هو رحيلٌ مؤقت .

وكل ذلك يبرهن على صدقية وجرأة مجموع استخلاصاته السياسية من خلال التدقيق بمعنى الوقائع اليومية ، والإستراتيجية والرؤية الطائفية البحتة ، أي غير المزوقة أبداً ، للزمر التي تتلبس الرؤية الدينية وهي المتعصبة عنصرياً وطائفياً من الرموز السياسية لسلطة الملالي الحاكمة في إيران .

إنَّ التطرق لمضمون نشوئه في ذلك الواقع العملي والشخصي ، والإستطراد بدلالاته ـ أي النشوء ـ العملية الملموسة ، يغري بالمزيد من البحث السياسي والحديث الفكري ، كون حياته القصيرة التي قضاها مكوناً لنفسه نهجاً صادقاً مقروناً بالوعي والمعرفة شكلت حياة عريضة حقاً ، وفاعلة فعلاً ، ومؤثرة جداً ، في الإطار الوطني والإجتماعي الذي عاش في وسطه ، ولكن لابد من التوقف بهذه المناسبة التي لن يكون رثاؤه في محله أبداً ، بل الذي ينبغي وضعه كقدوة دائمة في كل العمل الوطني الأحوازي المخلص .

١١ / ٤ / ٢٠٠٧

٣٢

ظروف موضوعية تحضُّ على التبلور

بمناسبة ذكرى مرور ٨٤ عاماً على الإحتلال الفارسي للأحواز العربية في ٢٠ نيسان ١٩٢٥، والذكرى الرابعة لإنتفاضة الشعب العربي الأحوازي، إستذكار مناضل ورصد لنضال .. محمد النواصري : الأمل الموؤود منذ رحيل الفقيد محمد النواصري : الشخصية الأحوازية العربية المرموقة، وصورته الباسمة الضحوكة هي التي ترفرف على مخيلتي وتأخذ بتلابيب العقل عنوة لا راد لها، فكلما حضر الحديث عن القطر العربي الأحوازي أو عنَّ في باصرتي أو جرى النقاش السياسي حوله، تبدو قامته المديدة ـ [بالنسبة لي على الأقل] ـ شامخة يحملها جسد مفتول العضلات، قوي القسمات والملامح، مفعم بالحيوية والنشاط والمثابرة، وعيونه القلقة النفّاذة المليئة بالأمل اللا محدود، تستقر في وجه دائري حنطي اللون، وهي تنبيء ـ فيما تنبيء إليه ـ عن ذكاء عربي فطري متوارث، تلك الهبة المتوارثة عن جينات أو المعبرة بشكل واضح عن القُدرة السماوية الإلهيَة المعروفة بإسم «مفهوم الفراسة»، مجموع تلك الخِلال الجسدية والعقلية جعلت منه مشروعاً سياسياً قيادياً مأمولاً.

لكنه كان ـ وبشكل مؤكد ـ يشكل لحظة وعي سياسي عام وشامل كلي، فيما يتعلق بالمسألة الوطنيَة الأحوازية، كون ذلك الوعي السياسي التمثلي التكاملي في النمو الطبيعي في الدماغ قد تدرج النمو فيه في معمعان الممارسة ولهيبها القادر على صهر تلك السمات وصياغتها في فرد أهِّل لكي يكون قائداً، تَمَثُل

عناصره المعلوماتية والفكرية لبنة فوق لبنة ودرجة مبتدئة بعد درجة متمهلة ، وهو في أية حال: فإنَّ الوعي السياسي يمثل أرقى أشكال الوعي الثقافي في شتى الميادين، لذلك يمكن القول بخصوصه أنَّ حضوره السياسي قد مرق كالسهم المثقف . . . مرق كشهاب مضيء ولامع في سماءٍ معتمة الظلمة ، فخطف أنظار المتابعين : خصوم وأصدقاء ، بسبب أنَّ جرأته وإقدامه وممارساته العملية وخصوصاً في قيادة المظاهرات الشعبية في المناسبات الوطنية ، وجرأته تلك بالذات قد رفعت في ذاته الثورية وتيرة التفكير الجدلي بالمستقبل السياسي للمنطقة الأحوازية بالآتي الغامض ، ولكنه بدأ الطريق الصحيح في مسار التغيير الفكري والسياسي عبر تلك الخطوة في عالم الممارسة ، الثابت الجنان ، الهادئ الأعصاب ، الذي يتفحص صلابة ما تحت قدمه قبل أي تحرك ، كما هوَ في تقديري .

كانت هذه الملامح الشخصية الثرَّة قد بقيت عالقة في ذهني وراسخة في ذاكرتي، رغم أنَّ اللقاء العيني بهذه الشخصية «الكارزمية» وفق المفهوم المتداول في علم الإدارة السياسية ، لم يتعدَ عدد أصابع اليد الواحدة ، بلهَ لم يتجاوز المرات الأربع ، على وجه التخصيص والتحديد ، فمنحني الوعيُ عبر إلتقائه شخصياً ، الوعيَ العميق بهذه الظاهرة الإبداعية المتقدمة في مجالها التخصصي : علم الإجتماع + النشاط الدؤوب في ميدان التفكير ، كانت تلك اللقاءات تتوزع في مناطق هولندية مختلفة ، بما فيها إستضافتي له لليلة واحدة ، ويتيمة ، مع الأسف الشديد في مدينة «كوخ آن دي زان» . التي تقع شمال غرب أمستردام : العاصمة الهولندية ، تبادلنا خلالها أحاديث الهموم القومية العربية فكرياً : قال لي ، وقلتُ له، وطال الحوار حول تلك النقطة التاريخية ، وتشعب الحديث حول هذه المسألة الإجتماعية ، وتعمَّق النقاش بصدد ذلك المفهوم السياسي والفكري المقرون بتاريخ المنطقة أو غيره من المفاهيم الثقافية والإجتماعية .

لقد دارت تلك الحوارات السياسية المعمَّقة المتشعبة التي تميزت بالثراء الفكري والإكتناز المعرفي ، كان محتواها ـ أساساً ـ يدور حول مسائل عربية /

تاريخية تجريبية في الماضي ، لم يحضر فيها الـ«لو» أو الـ«ربما» ، إنما كانت تحدد معالم ذلك التفكير العالي الديالوجي الحواري : إنْ صح التعبير ، والنطق المسموع من دون إنفعال ، أو ـ في بعض الأحيان ـ الخفيض الصوت المقرون بالإشارات اليدوية ، وهي عادة مكتسبة بالتأكيد ، كان خلالها الفقيد محمد النواصيري يتجلى بإكتناز المعلومات الجغرافية العريضة والواسعة والعميقة ، والغوص في طبيعة الواقع الإجتماعي لجهة إنتشار العنصر العربي في المواقع «الجغرافية الإيرانية» المختلفة ، وخصوصاً في جوار المناطق البحرية ، والملاحظة التي كان المرء يدركها أنَّ كل أحاديثه بخصوص جغرافية السكان العرب ، توشّيها أبعاد تاريخية مستخلَصة من وقائع عينية ملموسة ، وتتوارد فيها الأرقام التفصيلية الدّالة على وعي بالمفاهيم السياسية والآراء الفكرية المحددة . . . أرقام ذات دلائل أساسية بصدد أي حدث يرد ذكره في النقاش ، سواء أكان يخص منطقة الأحواز العربية المحتلة خصوصاً ، أو يشمل جغرافية العراق الطبيعية الإجتماعية والبشرية ، أو يسبر عبرها غور شؤون الوطن العربي ، بشكل عام ومعمَّق .

في هذه الليلة الوحيدة ، واليتيمة كما قلنا أعلاه ، تكومت عشرات الكتب والكراسات والمجلات المُستشهَد بها ، من تلك المصادر المعرفية التي تنير تفصيلات نظرية أو معلوماتية محددة حول هذه النقطة الجوهرية أو تلك ، خصوصاً وإني عند ذِكر كل مفْصَل تاريخي أو موضوع ثقافي ، بل الأحرى في أي تطورٍ سياسي أو فكري شهده الوطن العربي ، كنتُ أقول للفقيد الخالد : لقد كتبتُ حول هذه النقطة المفصلية بعض الأفكار والآراء : وأحرص على تقديم ذلك المنجز أمام عيونه المتبصرة ، تلك العيون التي تشي بملامح الذكاء الوقّاد الواعد ، أو أمتلكُ مصدر معرفي غني المعلومات ثر المفاهيم حول نشوئه أو تطوره أو مدى تأثيره في الواقع ، ساعياً في الآن ذاته إلى مكتبتي الشخصية المليئة بالكتب والمراجع لجلب بعضها ، مستلاً منها هذه النسخة المعبرة عن تلك المعرفة أو مصطفياً ذلك المصدر الهام ، مما هو جدير بتقديمه له .

كان الفقيد محمد النواصيري أملاً متنامياً ومتفائلاً ينمو في وعينا وذاتينا وعقلينا ، ويشي باللقاء الدائم ، كطموح مرتجى وأمل موعود ، ولكن ذلك الأمل قد تحول برحيله المفاجئ إلى أمل موؤود ، ومع ذلك فقد ظل هذا الأمل الموعود ومن ثم الموؤود يحفزني قطعاً لضرورات الحديث المتوصل عنه والتفكير فيه ، والرؤية السياسية المشتركة لكلينا تحفزنا لإمعان التفكير في الماضي وملابساته والتدقيق في وقائع الحاضر وهمومه ، فتدفعه للجزم ـ قبل رحيله المفاجئ ـ بأنه متى ما يستقر في منطقة معينة من هولندة ـ وإنْ كان مجبراً على الإقامة فيها بسبب حجز حريته ومنعه من الذهاب إلى بريطانيا حيث كان يرغب في الإقامة هناك ـ ستكون مكتبتي الشخصية التي تتضمن مئات العناوين الهامة وذات الشأن المتعلق بالشؤون العربية ، وستكون هي المنجد له في كل ما يحتاج إليه من مصادر حول المعلومات المطلوبة لبحوثه القادمة في المستقبل ، وربما يجد فيها أرقام تعزز أطروحاته السياسية التي سجّل بعضها عندما كان مقيماً في طهران .

كان عربي الروح ، عربي الفكر ، علمي المنهج ، عربي النظرة للمستقبل السياسي ، وعربي النزوع المتفائل ، كان متماهياً والعروبة كمفاهيم وأفكار وقناعات سياسية في كل أبعادها ومختلف مراميها السياسية .

من النادر حقاً ، أو هكذا رسمت مخيلتي صورة عنه ، أنْ تجد رجلاً ناضجاً في منتصف العمر ، أو رجلاً وسيماً بهياً متفائلاً ، لم تصنع السنون الزمنية معالم محددة من أية خطوط مترهلة على بشرته ، أو تظهر بعض معالم الشيخوخة أو الكبر على محياه أبداً ، رغم متاعبه ومعاناته اليومية ، وعلى وجه التحديد ، لم يتخط من العمر الزمني الخامسة والثلاثين عاماً إلا بقليل من السنوات ، لقد ولد المناضل الفقيد بتاريخ ١٠ / أيلول / ١٩٦٩ ، ورحل مُبكراً بتاريخ الثاني والعشرين من آذار العام ٢٠٠٧ ، وهو في قمة مسار عطائه الفكري والواعد المأمول ، فهل جاء هذا الرحيل المفاجئ جرّاء المصادفة الغريبة الصدف ، أم كان الأمر يتعلق بإرادة فاعل كما قال أصدقاؤه الأطباء ومحبوه المطلعون ، عندما قيل لهم أنَّ الزَبَد الأبيض

الكثيف قد طفا على شفتيه قبيل وأثناء موته المأساوي المفاجئ ، وهو السبب الكامن وراء إزدياد هذا الإفتراض البحث عن السبب الأساسي الذي أحدث وفاته عن طريق السم الزعاف القاتل ، هو «التقليد المتوارث» عن أساليب الغدر الفارسي والقتل غيلة مع إبراز إبتسامات البراءة الخبيثة ، هذا من الناحية الأولى ، وكذلك علينا إستخدام المنهج العلمي المماثل لوقوع هكذا حالات ، واتباع القاعدة القانونية التي يطرحها المحققون الجنائيون حول الهدف من عملية القتل، أو الإغتيال ، أو التسميم ، ومن ثم طرح السؤال الإفتراضي التالي : عن مَنْ هو المستفيد من حدوث الجريمة البشعة ، ومقتل الشخص الذي ينبغي التعرف على قاتله أو المتسبب بجريمة إغتياله ؟ وأيضاً معرفة الغاية التي ستتحقق على ضوء ذلك ؟ من الناحية الثانية ! .

كانَ فؤاده يحمل بين جوانحه كلّ هذا الهَّم الوطني الأحوازي والطموح السياسي القومي العربي ، مثلما كان يمتلك عقلاً سياسياً تحليلياً وقّاداً مؤمناً بالمصير المشترك لما هو مقنون بين الجزء الأحوازي ، والكل العربي المترامي المستلقي على الأطراف العالية من الصخور الشمالية الغربية في المملكة المغربية، الواقعة على سواحل المحيط الأطلسي ، وجنوب الوطن العربي ، وإنتهاءً بالصخور الصلدة للجبال الأحوازية المسماة بسلسلة جبال زاغروس ، والتي تشكل متراساً شامخاً وحداً فاصلاً يميز الوطن العربي عن الكيان الفارسي، والدولة الإيرانية المترامية الأطراف المكونة من عدة قوميات تتباين في أصولها وثقافتها مع القومية الفارسية في كل شيء ما عدا الدين الإسلامي الحنيف، وليس التعصب المذهبي بالتأكيد الذي ينصُّ عليه الدستور الإيراني ، بعبارة أخرى أقول بلغة واضحة ، تنتظم العلاقة القانونية بين الجزء الوطني القطري والكل القومي العربي ، وسمات هذا الوضع هي من طبائع الجغرافية وهو ما يتطلب الدراسة العينية العميقة ، على الرغم من القرارات السياسية الغربية : البريطانية خصوصاً ، التي عمقّت التجزئة السياسية بين الأجزاء المشرقية من الوطن العربي ،

وسلمت بعض الأجزاء العربية لمشاريع سياسية أجنبية : أوربية أو إقليمية أجنبية، أو تستهدف تجزئة الوطن الواحد أو إستباحة وجود بعض أقطاره .

كانت أحاديثه الفكرية الوطنية والهموم السياسية منتظمة مسترسلة من حيث العَرض الكلي لمسألة هذا القطر العربي الأحوازي المحتل منذ عام ١٩٢٥ ، على يد القوة الفارسية الغاشمة من تاريخ إحتلال هذا الجزء العزيز من الوطن العربي ، خصوصاً وأنَّ قيادتها السياسية قد تمكنت عبر التنسيق السياسي بين قوتها العسكرية ، من جهة أولى ، والقوة البريطانية التي كانت تسيطر على العالم ، بشكل عام ، وعلى المشرق العربي على وجه الخصوص ، من جهة ثانية ، ومن المعلوم أنَّ السياسية البريطانية كانت قائمة على الوعي السياسي لملابسات تاريخ المنطقة والتخطيط الإستراتيجي المسبق ، كون خطتها السياسية ترتكز على الدراسة العملية فضلاً عن إستفادة إستراتيجييها ومخطِّطيها ومطبقّيها من المعاني الجوهرية لمفهوم الحروب الصليبية وغزواتها التسع للوطن العربي ، وأهدافها السياسية والإقتصادية ، والتمعن في دروسها التاريخية والأساسية في كيفية إنحدار قوتهم العسكرية والإنهزام لبعض غزواتها في المعارك العسكرية ، وصولاً إلى إندحارها بعد قرنين من الغزو الأوربي الذي إستهدف العرب : مسلمين ومسيحيين شرقيين ، ورحيلها نهائياً ، ودور الوحدة العربية الإسلامية المقاومة والمقاتلة في صيرورة هذا الغزو الصليبي الأوربي في موضع الهزيمة التامة ، وجعلها في خبر كان ، وثم التلاشي التام من الوجود الفعلي على الأرض العربية ، وخصوصاً في فلسطين وجوارها .

لقد تمكن الإثنان الفارسي والبريطاني اللذان خضبت يديهما الثروة النفطية ومدخولاتها النقدية التي لا تراعي حرمة ولا تقدس كلمة ولا تفي بوعد ، من العمل السياسي المشترك لينجزا مشروع احتلال الأحواز ، وتصفية إمارة عربية مستقلة كانت قائمة ، أو شبه مستقلة كما يذكر بعض الكتّاب المحايدين ، ويرأسها رمز معنوي كبير لشعبها المظلوم ، هو الأمير الشيخ خزعل الكعبي ، لشعب يمتد من شمال الأحواز إلى مضيق باب السلام أي ما يسمى بمضيق هرمز وفق التعبير الفارسي ، ومن المعلوم

المستمد من تفحصٍ دقيق لوثائق كثيرة وكتابات وفيرة أنّ الشيخ خزعل كان أوعي الحكام العرب الخليجيين قاطبة ، ومن بين القلائل الذي يتميز حسهم وعقلهم بالوعي السياسي على المستوى العربي ، ولم تخدعه أية حوادث في المنطقة سوى عامل «الثقة» بالعنصر البريطاني المتحكم في المنطقة .

لقد قامت الدولة الإيرانية منذ ذلك الحين بإنتهاج خطة سياسية قوامها الخطوات العملية القاضية بمحاولات دمج هذا الكيان العربي ومجتمعه الناطق باللغة العربية ، بمنظومة العمل والتكوين السياسي الفارسي ، وإنْ أمكن الفكري من خلال الأبعاد الأيديولوجية الطائفية أيضاً ، على الرغم من أنَّ محتويات الثقافة الدينية العربية الإسلامية هي المنظومة الفكرية الرئيسة وكذلك المشتركة عند كلا الشعبين بشكل خاص ، وعند عموم شعوب أقطار المنطقة العربية وجوارها ، ولكن للعنصرية الفارسية الساسانية في ممارسة تدابيرها التدجينية كانت لها الرأي السياسي الآخر ، وذلك عبر قوانين ملزمة ، وتعليمات إدارية وأمنية ، وأجهزة بوليسية علنية وسرية ، ومسار تدريسي هادف طويل الأمد، من أجل محاولات تفريس الأحواز .

ولكن ، في الآن ذاته وكذلك ، كما لاحظ الفقيد محمد النواصري ، أنَّ وتيرة تلك المحاولات التي تسعى للدمج والتذويب للوجود العربي كلياً في منظومة المفاهيم الفارسية ، أخذت تضطرد مناسيبها العملية بشكل متوالٍ ومتزايد يوماً بعد آخر ، مع مجيء «سلطة حكومة الملالي وقيادتها المعروفة بإسم الحجتية» ، ناهيك عن مصادرة الأراضي لصالح تفريسها بعناصر مستوردة من خارج القطر العربي الأحوازي .

وهذا المصطلح «السياسي : الحجتية» كان مثار إختلاف فكري وسياسي بيننا، إذ أنه كان يفضل إستخدام مفهوم «القيادات الحجتية» كون المعممين من هذا الصنف هم «العقل الذي يقود التجربة السلطوية الإيرانية» وقلبهم النابض«الحجتية» الذي يقود تياره الفكري والسياسي انمدعو مصباح اليزدي ، ومن هنا ينبع ، كما كان يقول ، طبيعة رؤيتها الأيديولوجية الحديدية التي تحاول

تقفيص الواقع العربي ـ فضلاً عن الأجزاء القومية الإجتماعية الأخرى من غير القومية الفارسية ـ على قد مقاس «الذات المعممة» ، وسعي هذه «القيادات الحجتية» لتفسير آليات سيرورته السياسية وعلى الصعد كافة : في إيران في ظل حكم الملالي ، وبالتالي ، فرض رؤية سياسية برنامجية ، متصورة مسبقاً وبشكل ملموس ، محددة المعالم وواضحة قسمات المضمون ، يجري تطبيقها وبنشاط متواصل على واقع سياسي متحرك داخلياً أي أحوازياً ، ومتشابك إقليمياً : أي عربياً ، ومتداخل دولياً على الصعيد العالمي .

في أية حال لم نتوقف طويلاً حول هذه النقطة الخلافية المسماة بالحجتية ، والتي تم تجاوزها بسرعة ، كون الهدف السياسي لكلينا متفقٌ عليه ، إذ كانت ملاحظتي تقول أن الواقع التذويبي لمفهوم العروبة على كل المستويات كان قبل صعود فئة الحجتية على سدة السلطة الفارسية الصفوية .

ولكن هذه الشخصية الكاريزميا التي ذهب أمل وجودها لتشكل قطباً ضرورياً، إلى عالم الغيب بسرعة لافتة للنظر ، كيف تكونت ونشأت وصارت وعياً سياسياً حاداً ؟ ! .

وما هي الظروف التي عملت على تشذيبها وتهذيبها وتثقيفها وتصييرها رمزاً واعداً ؟ ! .

كان هذا السؤال الذي يؤرق ذاكرتي بشكل دائم حول هذه الشخصية الأثيرة على النفس ، في سياق أي تناولٍ للقضية الأحوازية على مستوى النقاش . هو الذي دفعني للجوء إلى الأخ المناضل عادل السويدي الذي كان مسؤولاً عن معرفتي بالفقيد محمد النواصري : «الأمل الموؤود» . كنا أربعة أشخاص يوم زيارة الفقيد محمد لي في كوخ آنْ دي زان : الكاتب أنا ، والمتحدَث عنه : محمد النواصيري ، والأخ أبو خالد : أي عادل السويدي ، والعزيز الغائب في منطقة أنبورغ / الدانمرك عامر الذرب : أبو علي ، الذي منحَ الفقيدَ الوعيَ بدوره وجدد نشاط الذاكرة حول عمله الكفاحي كونه عمل من أجل القضية الأحوازية في لُيبيا في عقد السعينيات من القرن المنصرم ، ولذلك ظل

الراحل الفقيد محمد يسأل عنه دائماً وبكل الأريحية والحرارة والحيوية ، كلما إلتقينا سواء في بيته بروتردام ، أو جرى التخابر الهاتفي بيننا .

كان المنطلق الأساس ، كما إستخلصته من الأحاديث العديدة المتواترة بصدده ، وفي المناسبات المتوالية التي تصادف إنعقادها ، هو النشأة العائلية لبيت المناضل الفقيد محمد ، حيث أبى والده الدعة والعيشة العفوية ، ليرتقي بدلاً من ذلك ، جبال الدروب الكفاحية في سبيل القطر العربي الأحوازي المحتل، والمجتمع الأحوازي المضطهد ، ومواجهة عدو طائفي بغيض والنضال ضد توجه عنصري أبغض ، وذلك وفق كل الإمكانيات الذاتية ، كان شريف النواصري ـ وهذا إسم والده الشهيد ـ المثال المجسَّد أمام عيونه المتوفزة وعواطفه المتحفزة وإرادته المتوثبة والمتصدية ، كون إرتياد هذا الطريق الكفاحي يتضمن المعنى الأخلاقي الحازم حول معنى الثمن المطلوب إيداعه في عنق التضحية القادم ، وأمام الخيار الواضح الذي تراكم أو الذي سيتراكم : كفعل كفاحي متجذر ومتفجر ، يوماً إثر آخر ، من حالة الإختيار الذاتي وصولاً إلى حالة الخيار الموضوعي ، ألا وهو الشهادة أو المعتقل والتعذيب .

كانت سريرة أبو وائل الكفاحية تتنامى وسيرته الكفاحية تتوطد ، من دون أنْ يلتفت إلى شؤونه الفردية الذاتية الخاصة ، بعبارة أخرى : لقد تماهت ذاته الشخصية الحياتية بذاته الوطنية العامة ، إذ كان الفقيد ذائباً في الأنا الجماعية للمجتمع الأحوازي المضطهد ، ويعبِّر عن خصائصها التاريخية والراهنة ، مثلما إستلهم خصالها المكتنزة في التقاليد الكفاحية للمجتمع الأحوازي ، ليتدفق منه مفردات عقلية عبر المقالة السياسية ، والملاحظة النقدية ، والحوار السياسي الهادف ، والشعر والنثر في الميادين الكفاحية ، وذلك في إطار خطٍ من الكتابة الجميلة والرصف المستقيم كما رأيته في دفاتره المخطوطة ، لقد كان كل كيانه الذاتي يعبِّر عن روح مبدئية صادقة مع نفسها ، ومنسجمة مع رؤيتها السياسية ، ومتطلعة للتوائم الكلي مع التوجه العربي الآخر: سواء أكان في الأحواز أو في بقية أجزاء الوطن العربي .

الخطوط العريضة لتكوين الحياة في إطار القناعات الفكرية لروحية الأب السياسية تتحدث عن : رجل نبيه مرهف الشعور الوطني ، متفتح الرؤية السياسة ، صلب المعدن ، رفض أنْ يبقى في الإغتراب «الكويتي» التي رحل إليها من أجل كسب لقمة العيش للعائلة التي تركها في الأحواز وعلى وجه التحديد بمدينة : المحمرة ، ولكنه تركها تحت وطأة الشعور الأخاذ من ناحية التفكير الجاد في خلفية الوجود السياسي لوطنه ومأساوية الواقع الإجتماعي لأشقائه من الأحوازيين كلهم .

وهناك نما تفكيره وراحت معاناته تكبر رويداً فرويداً ، جراء إختمار المعاناة اليومية والتدبر في شؤون المجتمع الأحوازي ، كان يفكّر عميقاً بالأسباب الكامنة وراء رحيله لهذا البلد النفطي الصغير ، الواسع الثراء جراء طفرة الدخول المالية الكبيرة المتولدة عن إستغلال الشركات النفطية الأجنبية الغربية للثروات الكامنة في أرض هذا البلد العربي ، في حين أنَّ وطنه الأحوازي يطفو على بحيرة نفطية واسعة ، وواعدة بالثراء جرّاء الإستغلال الإقتصادي ، كما هو مفترض . لولا العامل الفارسي الإيراني المستغل لكل الثروات الأحوازية .

وفي حمأة التفكير الجاد بالمجتمع الأحوازي ومستقبل أفراده ، وألم المعاناة اليومية جرّاء العمل المضني والشاق والتمييز من قبل البعض «الكويتي» المغرور بطفرة بلده النفطية والمستعلي على الآخر العربي ، على مستوى الحياة الفردية أو الجماعية ، ومشاهدة الفروق الطبقية الهائلة بين ما هو كائن حالياً في الكويت الذي يعيش عاملاً فيها ، من جهة ، وبين ما كان متوضعاً في الأحواز من حيث الفقر والعوز والإفقار الثقافي والتمييز بين القومية المسيطرة المستغلة ، والعرب المحتلة أرضهم ، من جهة أخرى ، هذا أولاً وأساساً .

والوعي السياسي والفكري ، والدروس الكفاحية الذي نشرته التجربة السياسية في مرحلة القومية العربية خلال فترة الحكم الناصري : والدعم السياسي لقضية الأحوازية الذي قدمته الجمهورية العربية المتحدة ـ مصر ـ كلها كانت

عوامل جياشة ، لنشوء الوعي السياسي والفكري عند الأب شريف النواصري ، ذلك الوعي القائل بضرورة إلزامية دور الفرد الواعي في العمل الكفاحي ، وبالتالي بوجوب الثورة الشاملة على الظلم المرتكب بحق وطنه وشعبه ، فضم جهده الشخصي إلى جهود أقرانه في الوعي السياسي الذي تبلور خطوة إثر أخرى على خلفية معاناتهم اليومية والمرحلية ، ثانياً ، وبدرجة معينة .

كان مفهوم العروبة المناضلة العنوان الأبرز للحركة الشعبية الكفاحية الهادفة إلى تصفية الوجود الإحتلالي والقضاء على عملائه من شتى القوميات التي تكون الدولة الإيرانية ، تلك هي بتركيز شديد «المهمة السياسية الأساسية» للشعب الأحوازي وجهوده المتناثرة التي تحتاج إلى طليعة واعية للم صفوفه ، وقيادات تعطي المثال المحسوس والشاخص الذي يحث المجموع على إحتذاء المثل الكفاحي المعطاء . ومضى الأب على هذا الطريق مكافحاً كفاحاً عنيداً وصلباً ، وصل به درجة من العمل الكفاحي اليومي الذي تكلل بنيله السمة الأرقى في سلّم سمات الشهادة الإنسانية في سبيل الوطن والمجتمع ، راسماً خط سيره بدمائه الزكية المسفوحة على طريق الكفاح المسلح طريقاً رئيساً لتصليب الإرادة الوطنية الأحوازية ضد النزعة العنصرية الفارسية . . . الإرادة التي تتطلع إلى أحواز عربية . . أحواز مستقلة وحرة وسيدة .

كانت أوامر أو «حكم» المجرم صادق خلخالي الذي سيتلقى العقاب الإلهي العادل عبر مرض السرطان القاتل ، وآلامه الفادحة والممضة ، قد وضعت حداً فيزيقياً لحياة هذا المكافح الأبي الذي رفض الخنوع للسلطة الفارسية وثار على الظلم الصفوي . كانت هذه المآثر الكفاحية المنزلية والعائلية والتنظيمية هي المدرسة التي ترعرع في حومة فعلها المشع الفذ : المناضل محمد ، وتشرب المعاني الحقيقية للكفاح الوطني الأحوازي والقومي العربي ، وكذلك ، أدرك متبصراً لمعنى الثمن الحياتي المطلوب تقديمه .

٢

طبيعة الأرض وهويتها المنطلق للتقويم والمبادرة

كانت رحلة الفقيد محمد الكفاحية قد إستمرت في دروب متعددة ومسارات مختلفة وتوجهات متواشجة ، ولكنها كانت كلها تصبُّ في مجرى كفاح وطني واحد ، من ناحية الهدف الإستراتيجي المحدد ، والتوجه السياسي المشترك نحو بؤرة واحدة ، والمسار الواضح بغية إنجاز غاية تتماهي وتراث عائلي ووطني وقومي أثير على قلبه وعقله ، تناسل ذلك التوجه السياسي من موشور الإخلاص المفعم بالإيثار للقطر الوطني الأحوازي ، المنية قناعاته الفكرية والسياسية على أرضية صُلبة تستمد رسوخها من يقين متجدد ومتنامٍ على الدوام ، وتعتمد على إمتصاص معايير الأخلاق الكفاحية المتواصلة مع جذور قوية متراصة متصالبة القوة ، المتضافرة المتآلفة النسغ الساري ليلاً ونهاراً بإتجاهين : الصاعد أو النازل ، بهدف العمل بإتجاه النماء والإستمرار والتوطد ، أي كون هذه الغاية كامنة في الرؤية السياسية الواضحة ، عرّامة الروح التعرضية والحيَّة المخضّلة بالأمل والمتألقة في نظرتها المتفائلة بالمستقبل ، الريانة العروق المتدفقة بالدماء النقية الحمراء كالوردة الجورية الفواحة بالعطر ، المحضَّرة الفروع والسيقان الناعمة الزاهية ، الوارفة الأوراق اليانعة النافرة التي تتطلع لبناء المزيد والمزيد مثل شجرة الدوحة الكثيفة الظلال التي توزع فيافيها على الآخرين، العالية الرأس المرفوعة الهامة مثل نخلة عربية خضراء تطاول السماء وتعتمد على ساقٍ ضخمة من السنديان الصُلب .

كان الأمل الفكري في المستقبل المشرق يراكم الفعل الإنساني اليومي ، الفردي والجماعي ، ويستنهض المعاني المضيئة والدروس الجوهرية لكل مفاصل التاريخ العربي الإسلامي ، ويعتمد الطريق الموضوعي الذي يراهن على الذات الشعبية الأحوازية التي رأت في الأب الشهيد الذروة السامقة لأمانة الموقف وصلابة المبدأ التي ينبغي لها أنْ تتواصل في الأرومة الطاهرة الناكرة للذات ، في خِضَّم الإيثار المفعم بالجرأة ، وروحية التضحية المتولدة في الإبن والمعجونة حدّ الذرة الأخيرة المتفاعلة مع الرؤية السياسية الوطنية والقومية للأمة، وصراحة الجرأة المتدفقة بالجرأة والمضي بحياة حارة نازفة وهي تتحمل الثمن عندما تحين لحظة الخيار الحاسم ما بين عيش «الحياة بذلةٍ» ، أو قضاء الحياة / «الشهادة بعزةٍ» فداءً للوطن والشعب ، الذي سيواجهه الرجال الأفذاذ المتماهين بالإخلاص . . . رجال المباديء المستقيمة الواضحة المؤثرة كفعل الطلقة المستقيمة الذاهبة بسرعة الضوء ، وهي تستقر في صدور الأعداء المحتلين الظالمين الخلخاليين ، كان الخيار لدى الإبن الفقيد خياراً واضحاً ومستقيماً وصادقاً .

لقطع المسافة بين المبتدأ في العمل السياسي الهادف ، والمنتهي في دروب العطاء اللا نهائية ، مسارٌ من الأفعال التاريخية الطويلة ، لا تختزل مسافاته دروب الحياة العسيرة فقط ، ولكنها الشهية أيضاً ، مع الدروب القاسية التي توُصل إلى الموت ، وإنما هو مسار ـ مع ذلك ـ يبقى خالداً سرمدياً أبدياً متجذراً في روحية الشعب وطليعته المواجهة ، وكانت روحية «التيار العربي» الذي يقوده النواصيري قد ترافقت ولادته عند الإبن الشهيد : محمد ، مع ما تمخضت عنها تجربة الأب في «الجبهة العربية لتحرير الأحواز» ، وتجربته الشخصية في البناء التنظيمي عندما تبوأ العضوية المركزية في الهيئة القيادية لـ«حزب الوفاق الإسلامي» التي تطلع لها المجموع «الوفاقي» وفق الفهم الخاص بالشهيد إلى أنْ تكون رحلة أخرى مكتنزة بالمعاناة منطلقها من «الذات الفردية» لكي تصل إلى

روحية «الذات الجماعية» المشتركة . . . من روحية التشظي العشائري والتفرق القبائلي إلى جماعية المجتمع الأحوازي ، فكانت تلك التجربة التنظيمية شاخصة واعدة بالأمل على أرضية الصراع ما بين روحية الإخلاص للمجتمع الأحوازي، من جهة ، وضد الذات المتعجرفة المحتلة للأرض والمستغلة للبشر المدججة بالسلاح والثروات المنهوبة ، من جهة أخرى ؛ و لسياسة ـ في أية حال ـ مفهومٌ متخصص في تخيل المستقبل ، كما ينبغي ويجب أنْ يكون عند المناضلين الحقيقيين.

كانت تجربة الإنتخابات على مستوى القاعدة الإجتماعية في المجالس الطلابية والبلدية ، وما نتجت عنه من دروس جوهرية ومُثُل مسّت صميم الواقع بين الطرفين النقيضين على مستوى الأماني والآفاق من حيث الدفاع عن الوطن والمجتمع ، من ناحية ، وأهمية الوطن والأرض المحتلة من قبل الطغاة اللؤماء التي تعشعش في أدمغتهم أمراض الأوهام لإمبراطورية كانت قائمة على العبودية المطلقة للفرد الذي يمتلك «إمبراطورها» كابراً بعد كابر سواء أكان آريامهر أو «المجتهد الأكبر» «النائب الحاضر» عن القدرة الإلهية السماوية ، «النائب عنه» في أرض الواقع السياسي الإيراني : يأمر وينهى من دون قيود ويصدر الأحكام من دون حدود ، ومن غير مساءلة من قبل الناس المظلومين ، من ناحية أخرى .

لقد أثبت الواقع أنَّ : التحول الإجتماعي مع ما هو مضمر على صعيد الذات القيادية يأخذ مجراه بهدوء عميقاً في تلاوين المجتمع الأحوازي من حيث التركيب الطبقي والإجتماعي والمستويات الثقافية . إنه الحراك الإجتماعي الموّار الجياش الذي سيفرز وعداً بالتغيير نحو الأحسن والأرقى ، وهو ما أحسَّت به السلطة الفارسية من خلال مجسّاتها الأمنية ، فبدأتْ بإتخاذ الخطوات العملية نحو تقفيص التطور الأحوازي والحد من جموح تطوره نحو «المجتمع الأحوازي الموحد» على حساب التفرق العشائري والتمزق القبائلي وإنسياق البعض ـ مهما كثر عدده ـ للولاء الطائفي على حساب الإلتزام الوطني . . . وبالتالي: الولاء لغير الذات الأحوازية والإخلاص لمستقبلها .

كانت هذه التلمسات الأولى على صعيد الوعيد الفارسي الذي تقرر في الغرف السياسية الأمنية للسلطة الإيرانية هو المكتشَف من خلال المعلومات المتيقنة المتوضعة في الذهنية الفارسية ، سواء عبر التفكير المتيقنْ والإعْمالْ المدروس بما تراه العيون وتحسُّه الأنفاس وتتلمسه التجربة العملية : الشخصية والجماعية ، أولاً ، أو من خلال الإستماع المباشر لمنفذي المشروع الفارسي المتخيل والمخصص لمستقبل القوميات في إيران بشكل عام ، وتجاه القومية العربية على وجه الخصوص ، ثانياً ، قبل أنْ يطرح حلاً متصوراً لما هو ينبغي ويأتي لجس نبض القادم والمستقبل ، كانت فكرة ضرورات وجود الأداة التنظيمية هي المنبعثة من روحية «التيار» الذي يعني فيما يعنيه هو الديمومة والإستمرار ما دام الصراع قائماً ويتخذ صفة السيرورة ، كانت كلمة / مفهوم التيار يعبر عن معنى سياسي عميق يتضمن الحركة الفوارة منقولاً في مبناها الفكري والسياسي ومعناها الإجتماعي لتدّل على حركة موجهة نحو هدف سياسي جوهي ماثل على الدوام ومحدد القسمات ، كونه يتضمن مفهوماً سياسياً عميقاً يكثف المعاني الجوهرية التي تتضمن حركته المضطردة نحو الإستقلال والسيادة الكاملتين ، ولن يكتفي قطعاً بأنصاف الحلول حتى إذا كان وعودها صحيحة ، وليست للمخاتلة والتظاهر وتمرير السم بالدسم ! ! .

ولكن قبل ذلك كانت عقليته العلمية تفكر في وضع «تصورٍ ملموس» عند مَنْ يستطيع مواصلة الصراع وإدامة عملية الجدال الخشن مع كلِّ مَنْ يحاول فرض أشكال النضال ومحتواه وهدفه على الخصم أو النقيض ، وكان له : أنْ إنطلق من بديهية سياسية تتعلق بـ«ملكية» الأرض الأحوازية : أتعود لأصحابها الشرعيين أم تظل أسيرة عند محتليها ، فعلى الحدود الفاصلة لطبيعة هذه «المُلكية» ، ومن خلال الجواب على ذلك السؤال ، تتحدد المواقف السياسية اللاحقة .

إذن يجب قراءة التصورات الفارسية حول تلك المسألة الهامة والحيوية ، والتعرُف التفصيلي حول مضمون الخطط السياسية العملية التي تتحرك هذه الرؤية

على ضوئها ، فكان المنطلق أساساً في التحليل والتقويم ، هو وعي الرؤية الإيرانية الفارسية بصدد مستقبل الأحواز .

لذا كانت دراسته المعنونة «إيران وخفايا التوزيع الديموغرافي بالأحواز» التي جاء فيها وتحت عنوان فرعي : السياسات المنهجية ضد الأحوازيين . . . والتي قال الشهيد محمد فيها ما يلي :

«إن سياسة النظام الإيراني تجاه الشعوب في إيران بشكل عام والشعب العربي الأحوازي بشكل خاص بعد الاحتلال العسكري المباشر، كانت ولا تزال منهجية على مختلف الصعد ، حيث استهدفت هذه السياسات العنصرية غير الإنسانية البنى السياسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية . الهدف منها صهر هذا الشعب في بوتقة النظام الفارسي من خلال طمس هويته العربية المتمثلة باللغة والثقافة القومية وكذلك إقتلاعه من جذوره العربية ومن الأرض التي عاش عليها و تجذر فيها آلاف السنين حيث كانت على الدوام ممنهجة من قبل صانع القرار السياسي في طهران .

بدأت تلك السياسة مع الاحتلال على يد رضا شاه البهلوي و وضعت اللبنة الأولى لتلك السياسة المنهجية من خلال إقطاع الأراضي العربية للعسكريين الفرس و رجال الدولة من السياسيين و الإداريين و الأمنيين و كذلك سحب ملكية بقية الأراضي من المزارعين العرب وإعطائها إلى مؤسسة المنابع الطبيعية بغية تسهيل مصادرة تلك الأراضي في خطوات مستقبلية مدروسة ، و تهجير مئات الآلاف من المزارعين و المواطنين إلى المناطق المركزية في إيران والعراق والدول الخليجية. واستمرت هذه السياسة على يد محمد رضا بهلوي الابن و أصبحت أكثر شراسة بسبب التوجه الفارسي العنصري وحقده ضد العرب والعروبة ، وذلك من خلال سياسة ما يسمى بالإصلاح الزراعي في الستينات من القرن الماضي وتحديدا سنة ١٩٦٣ م تحت عنوان الإصلاح الزراعي أو الثورة البيضاء، حيث تمت مصادرة مئات الآلاف من الأراضي الزراعية ومن ثم تمليكها

للمستوطنين الفرس ، و كانت أولى مشاريع قصب السكر قد دشنت في تلك الفترة على أنقاض عشرات القرى العربية بالأحواز .

وتوجت تلك السياسات الإجرامية بعد وصول رجال الدين إلى سدة الحكم ، وتحديداً بعد انتهاء الحرب العراقية ـ الإيرانية وكان لطبيعة التكوين الأيديولوجي لهذه الحكومة الدور البارز في شراسة واتساع دائرة هذه السياسة حيث يجتمع فيها التطرف الطائفي والحقد التاريخي و كذلك العنصرية الفارسية والعداء لكل ما هو عربي .

وتم تدوين الإستراتيجية لهذه السياسة تحت مسمى التوزيع الديموغرافي أو (امايش سرزمين) بموجب التعميم الصادر من المجلس الأعلى للأمن القومي برئاسة هاشمي رفسنجاني برقم ٩٧١ / ٢ ب ـ ٣٤١٦ و تاريخ ١٤/ ٤ / ١٣٧١هـ . ش الموافق لسنة ١٩٩٢ م وكذالك التعميم الصادر من مكتب محمد خاتمي بصفته أمين عام المجلس الأعلى للأمن القومي برقم ٢٧٦٨٦/ ١٢ وتاريخ ١ / ٥ / ١٣٧٧ هـ ش الموافق ١٩٩٨ م .

نتائج بعض تلك السياسات العنصرية :

ـ مصادرة أكثر من ٧٠ ألف هكتار زراعي في منطقة الشعيبية والميناو والشوش ومناطق شمال الأحواز ، لصالح شركات من أهمها شركة كشت وصنعت إيران ـ أمريكا وكشت وصنعت إيران ـ كاليفورنيا وشركة دز كار وشركة شل وشركة كلاسنو وغيرها من الشركات الأمريكية والإسرائيلية في عهد حكومة الشاه.

ـ وبعد نجاح الثورة الإيرانية تمت مصادرة أكثر من ١٣٥ ألف هكتار من أراضي المزارعين الأحوازيين جنوب مدينة الأحواز وشمال مدينة المحمرة وعبادان وعلى ضفتي نهر كارون وهنَّ من أخصب الأراضي الزراعية ، وجرى مصادرة كل هذه الأراضي بذريعة إقامة مشروع قصب السكر ، حيث أنَّ الشركات القائمة على هذا المشروع تعود ملكيتها إلى رجالات الدولة الإيرانية والمؤسسة

المذهبية الصفوية الحاكمة في إيران :

ـ مصادرة أراضٍ بمساحة ٤٧ ألف هكتار لغرض إقامة مشروع معاقي الحرب العراقية الإيرانية في منطقة الجفير ، المحاذية للحدود العراقية الإيرانية .

ـ مصادرة أكثر من ٢٥ ألف هكتار لغرض إقامة مشروع مزارع الأسماك جنوب مدينة الأحواز وتمليكها للمستوطنين الفرس من الوافدين الجدد إلى الإقليم .

ـ مصادرة أكثر من ١٠٠ ألف هكتار شرق مدينة الحويزة تمتد حتى شمال مدينة المحمرة تحت ذريعة منطقة المناورات العسكرية لفرقة ٩٢ المدرعة ، ومن المعلوم أنَّ كل تلك المنطقة هي من الأراضي الزراعية وفيها عدة قرى عربية يسكنها الآلاف من العرب هجروا من أراضيهم .

ـ مصادرة آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية في مدن الخفاجية و الحويزة و البسيتين بحجة تطوير حقول أزادكان النفطية والتي تتصل بحقول مجنون النفطية بجنوب العراق وتشرف على هذا المشروع شركات يابانية .

ـ مصادرة أكثر من ٦ آلاف هكتار من الأراضي الزراعية في مدينة الشوش وتمليكها للعسكريين الفرس من الحرس الثوري وقوات القدس والتي تسمى بمشروع استيطان رجال الدين في الشمال والشمال الشرقي لإقليم الأحواز وتم تسريب وثيقة ذلك المشروع وتسمى بوثيقة (سردار رشيد) وهو من كبار قادة الحرس الثوري و قوات القدس .

ـ إضافة إلى تهديم أحياء عربية بأكملها وتهجير الآلاف من الأحوازيين كسياسة منهجية لغرض قلب التركيبة السكانية مثل تهديم حي سبيدار في مدينة الأحواز سنة ١٩٩٨ م ، وتهجير أهالي هذا الحي ومعظمهم من الطبقة المسحوقة اقتصادياً .

بموازاة سياسة مصادرة الأراضي ، هنالك سياسة لا تقل شراسة وعنصرية يجري تنفيذها على قدم وساق ، وهي تحريف مجاري الأنهر الرئيسية في الأحواز مثل نهر كارون والكرخة والجراحي وأنهار أخرى، وسرقة المياه وضخها إلى

المناطق المركزية الفارسية مثل أصفهان ويزد وكرمان لغرض الري في حين يتم حرمان المزارعين العرب من هذه المياه ومحاربتهم في قوتهم اليومي ولقمة العيش وكذلك افتعال السيول من خلال السدود التي تم إنشائها لهذا الغرض بشكل دوري، بغية تهديم البنية التحتية للقرى الأحوازية ، لغرض تسهيل عملية مصادرة الأراضي الزراعية وتهديم القرى والأرياف العربية في الأحواز .

كل هذا الغرض منه هو تهجير المزارعين من قراهم والتدمير المنهجي لاقتصادهم القروي وإلحاقهم بالضواحي المهمشة والذي يسمى (بحزام الفقر العربي) ومن ثم محاصرة المدن العربية بالمستوطنات الفارسية والمدن التي أنشئت لهذا الغرض وهي بالعشرات، مثل مستوطنات (شيرين شهر) جنوب مدينة الأحواز، وسط القرى التي تم تهديمها لغرض مشروع قصب السكر ومزارع الأسماك و تتسع لأكثر من تسعين ألف نسمة كخطوة أولى قابلة للاتساع ، وكذلك مدينة (رامين) العملاقة شمال مدينة الأحواز،حيث تتسع لأكثر من مليون مستوطن فارسي من الوافدين الجدد إلى الإقليم .

ويتم تهميش (حزام الفقر العربي) بشكل مدروس ومخطط، حيث يتفشى الفقر والإدمان والجريمة وكل الإختلالات البنيوية على صعيد البنى الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ، والعيش على هامش المجتمع كإفراز طبيعي لهذه السياسات اللا إنسانية.

ومن أهم مضاعفات تلك السياسة هي الكوارث البيئية وتلوث المياه وزيادة نسبة الملوحة في الأراضي وتلوث البيئة وتفشي الأمراض المعدية،حيث ورد ذكر كل هذه المضاعفات بالتقرير الذي رفعه (ميلان كوتاري) مبعوث الأمم المتحدة إلى الإقليم قبل اقل من سنتين ، حيث وصف تلك السياسات بالكارثية بالنسبة للسكان الأصليين من عرب الأحواز.

تصاعد سياسة المصادرة والإستيطان

أخذت هذه السياسات الإجرامية تتصاعد و تتسارع وتائرها خلال الخمسة

عشر عاما الماضية وعلى الأخص بعد تسلم طاقم التكنوقراط صاحب الميول والتوجهات الفارسية من جماعة كوادر ابناء أثناء رئاسة هاشمي رفسنجاني ومحمد خاتمي وبعد تسلمهم ملف التنمية في إيران ، حيث تمت مصادرة عشرات آلاف الهكتارات من الأراضي الزراعية الخصبة في مختلف مدن الأحواز ، ضمن الخطة المعروفة بالتوزيع الديموغرافي الإستيطاني

كما بلغت ذروتها ، أيضاً ، بعد تسلم احمدي نجاد و طاقمه من «جماعة الحجتية» خاصة بعد اندلاع انتفاضة ١٥ / نيسان / ٢٠٠٥ م ، وكعقاب جماعي للأحوازيين على شق عصا الطاعة ضد الاحتلال العسكري الإيراني ، والدليل على ذلك هو البدء في مصادرة ٣٠ ألف هكتار من الأراضي الزراعية في مدن الأحواز والخفاجية والهنديان (لتميمية) ، حيث ورد ذكر هذه الخطة في التقييم الصادر من دائرة الثروة السمكية بالإقليم ، خلال الثماني سنوات الأخيرة .

وتنص هذه الخطة على :

- البدء في المرحلة الثانية من مشروع يبلغ ١٢٤٠٠ هكتار تحت عنوان «أزادكان أهواز» حيث تم مصادرة ٢٥ ألف هكتار في المرحلة الأولى من المشروع .

- البدء في مشروع يشمل ١٠ آلاف هكتار في مدينة الخفاجية .

ـ مشروع تربية الروبيان يشمل ٨ آلاف هكتار ، شرق و غرب نهر زهرة في مدينة الهنديان (التميمية) .

ـ إضافة إلى إنشاء موانئ في بحر كان الهنديان ونهر القصير في عبادان وغيرها من الموانئ ، والمعروف أنَّ تلك الموانئ لا تخضع إلى سلطة ورقابة دائرة الموانئ ويتم استغلالها والاستفادة منها لغرض التهريب والالتفاف على القرارات الدولية ضد إيران في مجال حظر إستيراد السلاح وغيره من قبل الحرس الثوري ، حيث تكتسب تلك الموانئ أهميتها لأنها تقع بالقرب من لعراق والدول الخليجية .

أهداف هذه السياسات :

إنَّ وراء هذه السياسات المنهجية والبنيوية ضد الشعب العربي الأحوازي أهداف إقتصادية وأمنية وتاريخية وسياسية ، وبنظرة متفحصة على الخارطة السياسية لإيران ودول الجوار العربي ، سنلاحظ أنَّ الأراضي التي تمت مصادرتها في الشمال الغربي والغرب والجنوب تقع بمحاذاة الحدود العراقية ودول الخليج العربي ، الغرض منها تسهيل عملية التدخل في الشؤون الداخلية لتلك الدول بعيداً عن عيون الأحوازيين وخلق بيئة ومنطقة عسكرية لوجستية تؤمن الحماية وتؤمن الإمداد الكافي للتدخل الإيراني المستمر في شؤون تلك الدول ، وكذلك إفراغ هذه المناطق التي يقع فيها اكبر مخزون وحقول النفط والغاز، من الأحوازيين ، كخطوة أولى وتمليكها للمستوطنين الفرس والوافدين الجدد كخطوة مستقبلية من أجل قلب التركيبة السكانية بالإقليم لصالح الفرس والحكومة المركزية حيث دأبت كل الحكومات الإيرانية المتعاقبة على هذه السياسة منذ تكوين الدولة أو بالأحرى الإمبراطورية الإيرانية الحديثة على يد رضا خان .

من ضمن هذه الأهداف أيضا هو تقطيع أوصال الشعب العربي الأحوازي، وعزله في تجمعات سكانية محاصرة ، في مدنه و قراه و مناطقه المختلفة وكذلك حرمانه من عمقه الإستراتيجي المتمثل بالوطن العربي كالعراق والخليج العربي ، وهذا ما يفسر اتساع دائرة سياسة مصادرة الأراضي والتهجير الجماعي و التي نصّت عليها الوثيقة التي تم تسريبها من مكتب خاتمي والتي سببت مع تراكم التناقضات والظروف الموضوعية انتفاضة ١٥ نيسان عام ٢٠٠٥ ، حيث سقط على أثرها مئات الشهداء والجرحى وتم اعتقال الآلاف وتنفيذ أحكام الإعدام بحق ١٢ شخصا لحد الآن ، والقائمة قابلة للإزدياد . كما شملت هذه الخطة مناطق شمال الإقليم ووسطه وشرقه وجنوبه وهي الأخطر على الإطلاق والتي تم الكشف عنها بالوثيقة و التعميم تحت عنوان: مشروع أروندان الصناعي والتجاري في مدن المحمرة وعبادان والذي سيتم

بموجبه تهجير مئات الآلاف من الأحوازيين العرب من مدنهم وقراهم التي تقع ضمن نطاق هذا المشروع الاستيطاني الكبير وسيتم تهديم عشرات القرى الأحوازية . ويضاف إلى ذلك تهجير أكثر من ٣٠٠٠٠٠ مواطن أحوازي من مدن وأرياف المحمرة وعبدان أثناء الحرب العراقية الإيرانية ولم يعودوا إلى قراهم التي هجروا منها بسبب تهديم البنية التحتية وغياب الخدمات ، وكذلك انتشار حقول الألغام في تلك المناطق وهي من مخلفات الحرب ، ولم تعمل الحكومة الإيرانية على تطهيرها لكي لا يعود العرب إلى قراهم من منفاهم بالمناطق الشمالية والمركزية في إيران .

في الختام لابد من التأكيد على أنَّ كل هذه السياسات الإجرامية وهي بالطبع من مصاديق التهجير الجماعي والتطهير العرقي والجرائم الكبرى التي يعاقب عليها القانون الدولي ، يتم تنفيذها أمام مرأى ومسمع الدول العربية والمجتمع الدولي حيث تتجاهل هذه الأطراف المأساة الأحوازية بدعوى أنها شان داخلي وهي ضمن مفهوم السيادة ، لكن المتتبع الحصيف لمجريات الأمور يلاحظ أنَّ الأحواز لم تكن يوما ما إيرانية ، بل هي ارض عربية محتلة بالقوة الغاشمة منذ ١٩٢٥ م ولحد الآن و الدليل الأبرز على ذلك هو الانتفاضات المتتالية لأبنائها العرب ضد الحكومات المتعاقبة على سدة الحكم في إيران ، وهي عبارة عن منطقة متنازع عليها بين سلطة الاحتلال الإيراني والشعب العربي ومقاومته الوطنية وهذا ما أجمعت عليه فصائله الوطنية بمختلف توجهاتها ومشاربها الفكرية ، ونشير هنا إلى ضرورة التدخل العربي والدولي بهذا الخصوص لكي يتم لجم هذا الغول الفارسي المتغطرس وإنقاذ الشعب العربي الأحوازي من سياسة التطهير العرقي ، والحد من التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية كيف ومتى يشاء تحت ذريعة الطائفية الصفوية تارة والحفاظ على المصالح الحيوية والأمن القومي الفارسي ، تارة أخرى والهدف من وراء ذلك هو الهيمنة والتي هي جزء لا يتجزأ من طبيعة وعقلية الفرس وتركيبتهم السيكولوجية ، رجال دين كانوا أو

علمانيين»[1].

لذا كان إنتهاج طريق مواجهة الذات الأحوازية الوطنية لهذا الواقع السياسي الذي يرمي إلى خلقه الفرس المحتلين، وفق خطة عملية مدروسة، مفروض بحكم التطورات الموضوعية التي تشهدها المنطقة الأحوازية المحتلة، أي أنه خيار وليس اختيار. لاسيما وأنَّ تجربة «حزب الوفاق الإسلامي» الذي تأسس عام ١٩٩٨ قد أفرزت نتائج عامّة وهامّة على المستوى الذاتي الأحوازي، من جهة أولى، وعلى المستوى الفارسي الصفوي، من جهة أخرى، المحكوم في نطاق الصراع القومي المفروض على الطرفين بحكم مآلات وضعهما السياسي والإجتماعي، وكان ضرورة إنتهاج العنف الثوري المنظم هو الخيار السياسي المفروض وليس الإختيار السياسي المتبوع.

لقد تناسلت التنظيمات الثورية التي تؤمن بطريق العنف من رحم تنظيم التجربة «الوفاقية الإسلامية»، ففي حين بقي البعض المنضوي تحت روحية لواء «تجربة الوفاق» واقفاً يدور حول المنطلقات الفكرية والسياسية التي نشأ ذلك الحزب على ضوئها في لحظة تاريخية معينة من «تفجر الصراع السياسي» في الأحواز المحتلة، أولاً، ومهمة تبنّي أطروحة بناء المجتمع الأحوازي الموحد على أمل الإحتفاظ بما يمكن الإحتفاظ به من منجزات سياسية من دون ولوج طريق تطويرها المتناغم المتعاضد، ثانياً، و«المغانم المعنوية» التي إستطاع البعض العامل تحت لواء تحت تلك التجربة التنظيمية، أنْ يراكمها من خلال إتصالاته بالسلطة السياسية الفارسية الصفوية القائمة التي تدير شؤون الإحتلال ومن خلال «علاقات دبقية لا تخفى معانيها على الأقربين من رفاق الأمس»، ثالثاً، هذا من الناحية الأولى.

في حين غادر البعض الآخر هذه «التجربة التنظيمية» بعدما تيقن أنَّ «الطرف

(١)راجع مجلة الأحواز عربية، التي تصدر في العاصمة المصرية: القاهرة، السنة الأولى، العدد الأول، شهر آب، السنة الأولى، ص ١٩.

الأقوى : وهو السلطة الفارسية الصفوية» في دائرة الصراع القومي الكلي الذي تشهده الساحة الأحوازية ، هو الذي يعمل جاهداً على الإستفادة من «الوجود السياسي الشكلي» لذلك التنظيم الذي فُرِّغَ من مضمونه السياسي وعمله الإستراتيجي . . . لهذا التنظيم خصوصاً ، لاسيماً وأنْ العدو الفارسي قد تمكن من إخوائه وتجويفه من شحنة العمل الجِدّي والفاعل التي كانت تثوي في خطوطه السياسية والتحريضية ، وفق قناعات العديد من قياديه الأساسيين .

كان الخط السياسي الكفاحي للفقيد محمد النواصري ـ إلى جانب خيارات أخوته المصرّين على لتواصل الكفاحي ـ هو خياره الذي فرض عليه تكتيك التسلل إلى خارج منطقة الأحواز ، واللجوء إلى هذا البلد الأوروبي : هولندا ، بعد أنْ كانت وجهته الأساسية الذهاب إلى المملكة البريطانية المتحدة لمواصلة دراسته الأكاديمية التخصصية في العلوم الإجتماعية ، والتفرغ لمسألة خدمة القضية الأحوازية ، ذلك البقاء في هذه الدولة جرّاء ملابسات لعبت المصادفات الدور الرئيس فيها ، لاسيما بعد ذلك الدور الريادي الذي لعبه الفقيد في الإنتفاضة الشعبية التي إندلعت بتاريخ (١٥ / ٤ / ٢٠٠٥) والتي نطق بإسمها في حديثٍ عنها أدلى به الفقيد ، بإسم الصحفي محمد أحمدي من مكانه في الداخل الأحوازي ومع محطة «الجزيرة» القطرية التي إتصلت به يوم ١٨ / ٤ / ٢٠٠٥ فجاء فيها التالي الذي نبينه في الهامش رقم [١] :

(١)«معنا من الأحواز الكاتب الصحفي «محمد الأحمدي»، سيد أحمدي ما حقيقة ما يجري في الأحواز؟ الفقيد محمد النواصري : والله بالنسبة للمواجهات ما زالت مستمرة في مدينة عبادان والأحواز والكورة والشوش والعميدية وعبدالخان ، وآخر الأنباء ، آخر الأخبار التي وصلتنا تؤكد بأن المنطقة التي تربط بين مدينة الخفاجية والأحواز في منطقة المرعي لا تزال مغلقة من قبل الأهالي ، والتقارير التي وصلتنا من المستشفيات حول إحصائيات يوم أمس تقول : بأن عدد القتلى في مدينة الحميدية ٤ أشخاص،مدينة معشور ٣ أشخاص،ومدينة الأحواز ٢٤ شخص،والجرحى أكثر من ٣٠٠ شخص . =

لم تثنِ عزيمته الجياشة أو تثنِي إرادة رفاقه المصرِّين على التواصل الكفاحي ، العقلية الفردية لبعض الأشخاص المتورمين بحب الذات التي تعتقد أنها تمتلك دروس تجربة «الوفاق الإسلامي؟» وبالتالي فرض القيمومة الشخصية على تراثها ، فلجأ إلى التباهي المفرط ببنيتها البنائية السابقة التي اِستنفدت أغراضها ـ كما هو اعتقادنا ـ بسبب موقف السلطة الفارسية منها والتدخل في شؤون المواطنين الأحوازية كلها ، وبالتالي صار هؤلاء المغرورون المتوهمون «بأدوارهم السابقة» هم الذات القيادية التي تتحاور بكل الخشونة العدوانية مع هذه الشخصية النضالية

= الفقيد محمد نواصري : لحد الآن فالحكومة الإيرانية... بالنسبة للحكومة الإيرانية فأن المواجهة هي مواجهة أمنية بحتة ، يعني أنها تتعامل مع المعطيات والقضايا بالنظرة الأمنية والمواجهة بالقوة، ولا تأخذ ...(اِنقطع الإرسال) ، ومطالبات الناس وأسباب اندلاع هذه المسيرات التي انطلقت يوم الجمعة. كل ما هنالك أنَّ لهذه المسيرات أسباب، أسباب اجتماعية وتراكمات وتناقضات... (اِنقطع الإرسال) هي التي أدت إلى اندلاع هذه المواجهات،يعني ليست مجرد الرسالة المزعومة،ولكن هنالك وقائع على الأرض تثبت وتدفع بهذا الاتجاه،هنالك سياسات تمييز بمعنى الكلمة تطبقها السلطات على العرب،خاصة وأنني أؤكد على مسألة التعتيم الإعلامي،ونحن بدورنا نناشد المنظمات الدولية ونناشد وسائل الإعلام بأن تضغط على الحكومة الإيرانية من أجل الوقوف على حقائق الأمور،وما يدور عن كثب في المنطقة...هنالك تعتيم إعلامي من قبل المسؤولين الإيرانيين . جمال الريان : العفو ، العفو سيد أحمدي عما إذا كنت تسمعني، فإن الحكومة تقول بأن عدد القتلى فقط اثنين الذين قتلوا حتى الآن بالإضافة إلى عدد المصابين فقط ٨ ؟

الفقيد محمد نواصري : بالنسبة فهنالك طبعا تعتيم إعلامي كامل بالنسبة،وكان هنالك تصريح للمتحدث بإسم وزارة الداخلية الإيرانية حول ... (اِنقطع الإرسال) الأحداث التي تدور في منطقة الأحواز ، ...

جمال الريان:طيب،أنت برأيك ما هي أسباب اندلاع هذه المواجهات ؟ يقال بأنَّ للمتظاهرين مطالب ، كيف تنظر إليها الحكومة الإيرانية ؟

جمال الريان : شكرا، شكرا لك الكاتب الصحفي محمد الأحمدي ، ونذكر بأنَّ إدارة الجزيرة هنا وإدارة المقابلات هنا حاولت الاتصال بجهات حكومية لمعرفة وجهة النظر الأخرى من قبل السلطات الإيرانية ، ولكننا للأسف لم نتلقَ أي رد إيجابي» . (اِنتهى) .

اللامعة : محمد ، وتسيء إلى ذلك الوجه الكفاحي المضيء .

على إعتقاد يكمن مضمونه بشكل أساسي في تورم سياسي قائم على مفهوم النرجسية الذاتية المبنية على العصاب المرضي المفرط التي تتصور بأنَّ الآخرين سيكونون طوع يديها ورهن إشارتها ، مفترضةً في نفسها المفهوم الذاتي على قاعدة «الزعامة» المنتفخة بالرضى عن النفس والتغني بالذات الشخصية ، وهذه الإشارة موجهة ، أساساً ، إلى أولئك الذين يستمدون «قوتهم الخاصة والمفترضة» ـ كما يعتقدون ـ من إتصالاتهم ببعض رموز السلطة الفارسية التي أتقنت لعبة توزيع الأدوار في ما بين قياداتها ، أولاً ، أو ، بالإعتماد على القوى الدولية التي نصبت بعض الموالين لرؤيتها على «مراكز معنوية ومادية» في المؤسسات الدولية ، وتستطيع من خلالها فرض رؤيتها السياسية على البعض المخدوع فيهم أو المحتاج إليهم ، ثانياً .

إذاً ، كان طريقه / نهجه السياسي واضحٌ صادقٌ مع نفسه ومع الآخر . . . هو خيار النهج الثوري في مواجهة واقع مفروض ، وله في التجارب المماثلة ، فضلاً عن تجربته الخاصة ، وتجربة شعبه ، المعين الذي يغترف منه الدروس التاريخية القيمة ، تاركاً كل مغريات «الزعامة» الفارغة خلف ظهره وبعيداً عن تفكيره .

وإذاً ، أيضاً ، تم إستخلاص الأداة التنظيمية بناءً على دروس عينية مستمدة من طبيعة الإحتلال الذي يسعى لتفريس الأرض العربية ، وهذا التناقض بين الطرفين: المحتل للأرض ، من ناحية . والممثل للوطن والمجتمع الأحوازيين ، من الناحية الأخرى ، هو تناقض موضوعي ، وهو الذي سيفرز ـ حتماً ـ تصور سياسي محدد يبين المسار الكفاحي المطلوب ، وذلك من خلال إتخاذ العنف الثوري المنظم القائم على الجهاد المتعدد الأشكال الذي يأتي في مقدمتها الكفاح الشعبي المسلح بإعتباره خطاً رئيساً ، لأنَّ ذلك هو الخيار السياسي المفتوح لأي كفاح وطني جدي ، أما الكفاح الإصلاحي ، فإنه يوفر الفرصة ، أساساً ، للعدو

المتحكم بالعملية السياسية والإدارية ، كي يمضي في تفريس الأرض ، وتشريد الشعب ، بناء على وعي سياسي مسبق ومشروع سياسي مخطط له ينفذ عبر سنوات مديدة .

دروس التجربة الفلسطينية مفيدة لمن يتطلع لإستيعاب الدروس التاريخية للتجارب المماثلة على مستوى الصراعات أو النزاعات المتعددة المستويات ما بين المحتلين ، من جهة ، وأصحاب الأرض ، من جهة أخرى ، وعلى سبيل المثال، نورد الوضع السياسي للحالة الفلسطينية في المرحلة السياسية الراهنة ، كونها مسألة تتعلق بإحتلال الأرض وتتعرض للتهويد ، وهو ما يتشابه وضعها مع الوضعية الأحوازية الحالية التي تتعرض أراضيها للمصادرة والتفريس ، إذ في أعقاب بحث قيادة منظمة التحرير الفلسطينية عن خطٍ سياسي جديد ورئيسي ، جراء عجزها عن مواصلة الصراع المسلح مع الوجود الإغتصابي الصهيوني ، ودخولها في نفق الإتصالات مع العدو الذي صادر الأرض وشرد الشعب ، وذلك بناء على نصائح «عربية رسمية» ، كما نعتقد ، و«مطالب دولية : غربية بشكل رئيس ، على وجه التحديد» ، وتجاهل مضلل لإرادة الشعب الوطنية . . . في سياق بحثها المضني عن الحلول التبسيطية لمعضلة الصراع التناحري حول طبيعة الأرض القومية ، ولمن ستؤول ملكيتها في نهاية الصراع الذي ينبغي استمراره طالما العدو يحتل الأرض ، من خلال «حل ما يسمى بالدولتين» أو «الفيدرالية» أو«الحكم الذاتي» ، فإنَّ ما يسمى بتلك التجربة التفاوضية العملية الطويلة الأمد ، والمتنقلة في بقاع جغرافية متعددة وبعيدة عن مركز الصراع أي البعيدة عن نسبة القوى بين المتصراعين لدى طرفها الأضعف ، وربما تحت إشراف دولي في بعض الأحيان ، لم تأتِ بنتائج إيجابية ملموسة ، بل على العكس من ذلك تماماً فقد جلبت تلك السياسة ، المزيد من إستيطان الأرض ، ومصادرتها ، وبناء جدار يقسم أجزاء الوطن ، والإبعاد لبعض المناضلين الفلسطينيين ، والقتل اليومي للكثير من الكوادر المنتمية لبعض منظمات المقاومة الفلسطينية ، وغير ذلك من

الوقائع المأساوية التي يمكن إيرادها مطولاً وبالإعتماد على الأرقام المتوفرة لمن يريد أنْ يقرأ ويستوعب .

مع ملاحظة هامة يمكن إيرادها في هذه المناسبة ، من تلك الملاحظات التي تتعلق بمفهوم الصراع بين النقيضين التاريخيين ، وهي التي تتعلق بميزان مفردات الصراع بين القوتين على الأرض الفلسطينية : الغزاة للأرض والمدافعين عن أرض الآباء والأجيال الصاعدة ، والتي تتمحور حول نسبة القوى التي تميل لصالح موقف العدو الإسرائيلي ، التي تخوض لجّة الصراع على المستوى الفلسطيني ، أي بين العدوين الفلسطيني والصهيوني أو الأحوازي والفارسي ، من جهة أولى ، و«كم» و«نوع» المنظمات السياسية والدبلوماسية والوزن السياسي والمسلح الفاعل محلياً وعربياً وإقليمياً وحتى عالمياً ، على مستوى الحضور الفلسطيني في ميادين الصراع مع العدو الصهيوني مقارنة بالوضع الأحوازي ، إذ من المؤكد أنَّ التجربة الأحوازية ، راهناً ، تفتقر إلى ما يماثلها على المستوى الفلسطيني ، من جهة ثانية ..

تحدث المناضل الفقيد محمد مطولاً عن رحلة الكفاح والمعاناة والممارسة ، وأتى على ذكر الأمثلة العملية التي ترافقت وتجربته السياسية والتنظيمية الخاصة ، مما لا يمكن ذكره في هذه المناسبة ، لأسباب تتعلق بالمناسبة وقدسيتها ، وكذلك لأسباب أمنية و«تراثية» ، ولكنني وفي نطاق التعمق في مسار تجربة التعرف على ظروف نشأة ظاهرة سياسية عينية تنطوي على دروس جوهرية وتاريخية ، وذلك من خلال التعرف على أبعاد تفصيلية حول «تجربة عملية محددة» ، أسهمتُ شخصياً بالقدر الذي أستطيع في دعمها وخدمتها ، كما أعتقد ، تناولت العديد من الزوايا التي ترتبط بـ«إشتقاق المهمات العملية» على ضوء الحقائق السياسية التي أفرزتها حقبة الصراع التاريخي بين النقيضين ، خصوصاً ذلك الذي لحظه الفقيد محمد حول إفرازات التناقض بين المعطيين القوميين في إيران : أحدهما مضطهِد

والآخر مُضطـَهد ، وبناء على تجربته السياسية والشخصية الخاصة والعامة من وجود تناقض موضوعي في لوحة الصراع ما بين الشعب العربي الأحوازي ، من جهة ، والمحتلين الفرس ببرنامجهم لتفريس الأرض ، من جهة أخرى ، لقد كان عرضه جديراً بالتطرق له ، ولكن الظرف الحالي لم يسمح بذلك ، وربما سيكون حديثاً مستفيضاً في وقتٍ ما ، قادم إذا ما توفرت فرصة مناسبة .

المعتقلين طبعا بالمئات ، أما بالنسبة لليوم فهنالك سبعة قتلى في منطقة الكورة ، كورة معشور .....

obeikandl.com